حتى نجنب العراق تداعيات النزاعات الحزبية والصراعات الإقليمية

حميد الموسوي - بغداد

كان للنزاعات الاقليمية والدولية، والتهديدات والتوترات التي طبعت علاقاتها أثرا سلبيا على الأوضاع في العراق. واتضح هذا الأثر بعد سقوط السلطة السابقة وقيام النظام الديمقراطي الجديد حيث أسهمت تلك الصراعات في زعزعة الأوضاع الأمنية بعدما تحول العراق الى ساحة لتصفية الحسابات وفض النزاعات بعيدا عن ساحة المتخاصمين. وهذا ما بدا جليا في الخلافات التي تأزمت بين الولايات المتحدة وبعض دول المحيط الاقليمي للعراق من جهة وبينها وبين قوى الارهاب الدولي المنظم من جهة اخرى. ناهيك عن صراعات تلك الدول مع بعض قوى الارهاب التي أسهمت في احتضانه وتمويله وتدريبه في فترات سابقة قبل ان ينقلب السحر على الساحر.

وليت الأمر توقف عند حدود نزاعات الولايات المتحدة مع بعض دول الجوار أو مع الارهاب العالمي. فقد أصبح للصراعات السياسية داخل الدولة الاميركية تأثير مباشر على الأوضاع في العراق بشكل عام، لا بل حتى الإشقاقات الفرعية داخل مؤسسات الولايات المتحدة. والنزاعات المستمرة بين الأحزاب فيها صارت تلقي بتبعاتها على الأوضاع المتأزمة في العراق تزيدها تعقيدا واضطرابا.

وبطبيعة حال فإن مرد ذلك يأتي من مساهمة الولايات المتحدة في إسقاط السلطة السابقة، وقيادتها لتحالف دولي واسع لإتمام تلك العملية كما انها تحتفظ بعشرات الآلاف من الجنود الذين يمثلون قوات متعددة الصنوف تشرف على قيادتها وادارتها مؤسسات قد تختلف بعض أجندتها على الساحة العراقية الملتهبة، فكثيرا ما تقاطعت قرارات "البنتاغون" مع أهداف الـ "C.I.A" كما ان نشاطات وكالة المخابرات الفيدرالية قد لا تتفق تماما مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الاميركية.

أما على صعيد الحزبين الرئيسين في الولايات المتحدة: الجمهوري والديمقراطي فانعكاسات نزاعهما على ساحة الأحداث العراقية أو ضح من ان توصف فقد تم التركيز على الحالة العراقية بحيث استغلت أبسط الثغرات ووظفت أصغر الأخطاء لتصفية الحسابات بين الحزبين المذكورين.

فما ان فاز الحزب الديمقراطي بالأغلبية في "الكونجرس" الاميركي حتى بدأت التحركات السياسية لكلا الحزبين وباتجاه الساحة العراقية المضطربة تحديدا. وكنا نترقب بحذر نتائج تلك الزيارات المكوكية. ولعلمنا المسبق بخلافات الحزبين الأزلية، وترصد أحدهما لأخطاء الآخر وتسقط عثراته لإلحاق أكبر وأسرع هزيمة به فلم نتوقع من تلك الزيارات- برغم كثافتها وتنوع شخوص القائمين بها ومراكز مسؤولياتهم- انها ستعجل باعادة اعمار العراق، والعمل على استتباب الأمن والاستقرار فيه!.

فخلال الفترة المنصرمة- الشهور التي أعقبت فوز الحزب الديمقراطي- توافد على العراق عدد كبير من المسؤولين الاميركيين ومن كلا الحزبين أمثال وزير الدفاع الجديد روبرت غيتس ووزيرة الخارجية كوندليزا رايس وهما جمهوريان كما هو معروف، ومن الحزب الديمقراطي هيلاري كلنتون عضو مجلس الشيوخ ونانسي بيلوسي رئيسة المجلس.

الشراكة العراقية الأميركية في ترسيخ عملية التغيير تحتم على الإدارة الأميركية الوفاء بالتزاماتها

وخلال الفترة ذاتها تعاقب على زيارة العراق أعضاء بارزون في مجلسي النواب والشيوخ. كان المفروض ان يكون اولئك المسؤولون صورة عن كثب للشأن العراقي وتداعيات سقوط السلطة الدكتاتورية حيث كان معظمهم يجهل التفاصيل الدقيقة لمجريات الأمور في العراق، ولا يمتلك القدر الكافي من المعلومات عن حجم الهجمة الارهابية واختلاط الأوراق لأجندات خارجية على ساحته. لكن الذي حصل ان بعض اولئك المسؤولين كانوا يبدون تعاطفا كبيرا مع الشأن العراقي، ويتعهدون بتنفيذ التزامات ومقترحات لمعالجة الأوضاع الأمنية والاقتصادية على وجه الخصوص لكنهم ما ان يعودوا حتى تطغى نبرة الخطاب الحزبي المتحيز لتحقيق مكاسب حزبية على حساب هذا الطرف أو ذلك والساحة العراقية ارض خصبة ما دامت تشهد اضطرابا أشد سخونة!. واللافت ان العرف الاميركي قد تغير هذه المرة فالمعروف عن السياسة الاميركية انها مبنية على ثوابت لا تتغير ولا تتأثر بتعاقب الجمهوريين والديمقراطيين خاصة في معالجة القضايا العالمية وخاصة التي يشترك الجيش الاميركي في خوض معاركها، حيث تتوحد جميع الأصوات وتتفق كل الأحزاب وفي مقدمتها الحزب الحاكم والحزب المعارض على دعم السياسة الخارجية ودعم الجيش في تلك المرحلة.

ومع ان الجيش الاميركي قد دخل معركة مصيرية متداخلة هذه المرة هدفها الرئيس القضاء على الارهاب الذي ضرب الولايات المتحدة في عقر دارها، ومحاولة ابعاده عن الساحة الاميركية وهدفها الآخر بناء شرق أوسط جديد، وهذا الهدف تصب نتائج مردوداته في صالح السياسة الاميركية حال تحققه. فمع ما درجت عليه السياسة الخارجية للولايات المتحدة ومع تحقق هذه الأهداف الواضحة نرى ان بعض السياسيين الاميركيين يصرون على كسر كل القواعد في سبيل تحقيق هدف حزبي ضيق وهو إلحاق الهزيمة بالحزب المنافس لتحقيق مكاسب انتخابية. قد يتصور البعض ان تلك التغيرات أو الخروج عن المألوف والأعراف السياسية شأن يخص الاميركيين أنفسهم، والى حد ما فإن مثل هذا التصور صحيح، لكن انعكاسات ذلك التغير على الممارسات والمراوغات السياسية والميدانية في الساحة العراقية هو ما يجعلنا نتوجس حصول شرخ في العمل المشترك الذي تم الاتفاق عليه بين الحكومة الوطنية والولايات المتحدة وما يحمله هذا الهاجس من مخاطر على الوضع الأمني بشكل خاص وحالة التغيير بصورة عامة والتي ما تزال في خطواتها الاولى تعترضها المفخخات والعبوات والأسلاك الشائكة وتحدق بها المخاطر والمؤامرات من بين يديها ومن خلفها ومن فوقها وتحتها!.

التصريحات المتناقضة لبعض السياسيين الأميركيين الجدد تهدم كل مقومات النصر على الإرهاب

ان الستراتيجية الجديدة التي أعلنها الرئيس بوش بخصوص الشأن العراقي والتي تزامنت مع الخطة الأمنية الجديدة التي قررت الحكومة العراقية العمل بها تتطلب توحيد الخطاب والقرار في كلا الادارتين العراقية والاميركية طالما ان الهدف هو مواجهة الارهاب التكفيري وانجاح مشروع الشرق الأوسط الجديد وعليه فإن أي تصريح أو عمل يخالف هذا المنحى يصب في صالح قوى الارهاب العالمي ويؤدي الى إفشال كل الجهود المبذولة في سبيل استقرار المنطقة وقيام مشاريع التنمية فيها. ومع ان الرئيس بوش قد أكد مرارا ان خياره الوحيد هو النصر على الارهاب مؤمنا بانه نصر للإنسانية وتصب نتائجه في صالح البشرية وليس في صالح العراق أو الولايات المتحدة فقط. الا ان ما يردده بعض المسؤولين الاميركيين و الديمقراطيين منهم بشكل خاص يهدم كل مقومات ذلك النصر ولا يصب الا في مصلحة الارهاب. ومثال ذلك التصريحات المتناقضة التي أدلوا بها في بغداد مقيمين اداء الحكومة الوطنية وكيف تغير ذلك التقييم حال وصولهم واشنطن وتحت تأثيرات معينة تصب في احراج الادارة الحالية. ولا يخفى التسريبات من الأثر السيء على خارطة الستراتيجية الجديدة.

لا شك ان القرار السياسي العراقي له استقلاليته، وما تحقق من تسلم الملف الأمني وتنفيذ الأحكام التي أصدرها القضاء المستقل، وتطور العلاقات العراقية مع أنظمة تتقاطع مع السياسة الاميركية وكثير من الأمثلة الاخرى دليل واضح على تلك الاستقلالية لكن الشراكة العراقية الاميركية في بناء عملية التغيير تحتم التزام جميع الأطراف بما ألزمت به نفسها. وإبعاد الساحة العراقية المضطربة عن كل النزاعات الحزبية الاميركية وتداعياتها، ففي ذلك تحقيق الأهداف المشتركة وعلى رأسها القضاء على الارهاب المنظم، واعادة الاستقرار والأمن ليس للعراق وحده بل للمنطقة بأسرها. وبخلاف ذلك تكون الولايات المتحدة هي المعنية باضطراب المنطقة والمسؤولة عن فشل المشاريع المطروحة ويتحمل قادتها الجدد كل ما يترتب على ذلك الفشل من تداعيات وأزمات.

صلاح زينل

يوسف.. يوبرت.. يوخنا، وميلاد الأمل القومي

دانيال سليفو*

يقال أن المفاهيم والمعارف الإنسانية ومنذ البدء انتقلت من محاكاة الإنسان بالوجود المتمثل بالأرض والسماء، ومنها تعلم الإنسان الرافديني معاني الحياة ورحلة الإنسان من الولادة وحتى الممات.. فالفصول المتعاقبة من شتاء وربيع وصيف وخريف ألهمت الإنسان الأول ليدرك حقيقة وحدته مع الطبيعة ثم ليكتشف وحدة الوجود ووحدة الكون.

ثم أسقط معرفته الأولية بأركان المكان وعلاقته بالزمن ليؤسس نظرة حضارية كونية تؤمن بوحدة عناصر الوجود ليدونها في أساطير مكتوبة وشفاهية تعتمد اعتمادا قويا على وحدة الإنسان "العادي والبطل" بالوجود وتفاعله المتوازن والمنظم مع الطبيعة بإيقاع حيوي متناغم مع قوى الخير، ورافضا ومناوئا لقوى الشر التي تريد القضاء على هذا التوازن لتشكل العدم والهلاك بدلا من الموت والقيامة.

وبالعودة إلى أسطورة عشتار وتموز نكتشف هذه المقاربة والعلاقة الأزلية بين الفصول ودورة حياة الإنسان إضافة إلى معاني المفردات الحسية الأخرى كالحب والكره والعقوبة والمسؤولية وغيرها من مفاهيم.

لقد جسّد تموز معنى الاستشهاد وقيامته مع بداية الربيع حيث تتناثر قطرات دمائه على مساحات الأرض المخضرة لتبارك ولادة وتجدد الحياة ووفرة المحاصيل والثروات، ليبدأ الإنسان عهده بالعام الربيعي الجديد مستهلا عمله بالشكر والدعوات والإبتهال، وليبدأ بعزيمة لاتلين عمله في الأرض وليخترع الحضارة ويكتشف العلوم.

من عملية إستشهاد رفاقي الخوالد يوبرت ويوسف ويوخنا تعلمت وأدركت أن مفهوم الاستشهاد يحمل نفس المعاني السامية منذ ذلك العهد الموغل في القدم والى الآن، وبأن شهداءنا الأوائل ومع شهداء المقاومة المسلحة جميل وشيبا قد ورثوا بأرواحهم وبإيمانهم شهادة تموز ومردوخ وفريدون أتورايا ومار بنيامن، فالشهادة الحقيقية ليست ساكنة في ظرف عارض قصير يزول مع زوال حادث الموت، بل هي مبدأ واستعداد وأسلوب حياتي متكامل.

فيوبرت كان مستعدا للشهادة ومقتنعا تماما أن الخوف من الموت يعني الرضوخ للواقع والقبول بسلب الحقوق، فكان يكرر بين حين وآخر بأننا يجب أن نؤمن أن قضيتنا لكي تعيش.. ستأكل أولادها، وكان يرد على من كان ينصحه بالتوقف عن التحرك القومي النضالي بأن هذا هو ما يريده الأعداء تماما.

أما يوسف فكان هدوؤه يحمل الكثير من الحكمة والوعي بقصص الشهداء وحركة الشعوب نحو الإنعتاق وكان ينصحنا بأن نؤجل الحديث عن الشهادة للرفاق الجدد لأنها تأتي في المرتبة العليا من الوعي القومي والسياسي وأنها ستدخل بصورة طبيعية في الوعي بعد استكمال المفردات التنظيمية والثقافية الأخرى.

وكان يوخنا في أحاديثه يعيش معاني الشهادة بواقعية محسوسة ويدرك تماما طبيعة النظام وأسلوبه القمعي، ولكنه كان يتمنى أن تتاح له فترة أطول في عمله القومي النضالي ليقدم المزيد للقضية.

شهداؤنا يوبرت ويوسف ويوخنا ساروا برباطة جأش نحو مصيرهم وكانوا يعلمون أن ذكراهم والدروس المستنبطة من مواقفهم ستظل ذخرا هاديا وخميرا حيا لرفاقهم ولشعبهم الذي سيسير ويحمل قضيتهم الوطنية والقومية إلى أمام.. وكانوا على حق، إذ استمرت مسيرة حركتنا القومية وسار على خطاهم شهداء آخرون كفرنسيس وبيرس وسمير وشهداء ما بعد سقوط صنم الطاغوت كشهداء قائمتنا القومية الموحدة والى الشهيد الخالد وردا صليوا.

نقول للخالدين مبروك لكم ما نلتموه من وسام المحبة والتعظيم من أبناء شعبكم، فمسيرتكم لا زالت أمينة بأيدي رفاقكم ومحبيكم.. ولا زلنا نزوركم ونستحضر تاريخكم القومي وأعمالكم، ولتسكن أرواحكم و لتهدأ فإن جلاديكم وجلادي شعبكم قد نالوا الخزي والشنار قبل أن ينالوا جزاءهم العادل.

* زهريرا دوت نت.

حقنة علمانية تؤلم ولكنها تنفع ولا تهنر

عصام سليمان - تلكيف

كل المراقبين للوضع في العراق يجمعون على ان البلد قد دخل منعطفا خطيرا بعد أحداث سامراء وتفاقم أعمال العنف الطائفي خصوصا في بغداد. والجميع أيضا متفقون على إن الحل للخروج من الأزمة ليس بزيادة الإتفاق على الأمن ورفع قدرة قوات الشرطة والجيش العراقي لتمكينه من التصدي للإرهاب الذي استشرى في كل مكان بل باتباع جملة من الإجراءات بدأ البعض منها بالفعل مستهدفا لم شمل الكتل السياسية المشكلة للبرلمان وتفعيل الحوار بين نواب هذه الكتل لحشد جهود الأغلبية فيه لمساندة خطط الحكومة وعدم نقل صورة سلبية عن ما يحدث من انقسامات في البرلمان إلى الشارع العراقي لأن لذلك انعكاسات كبيرة تزيد من تفاقم الفوضى الأمنية في البلد. وبالفعل شهدنا هذه الأيام مؤشرات نجاح تلك الجهود ونرجو من الله ان تستمر. وكذلك من الأفكار المطروحة للحد من قوة الإرهاب تفعيل خطط التنمية الاقتصادية ومد شبكة الخدمات الأساسية لتصل إلى كل مكان وزيادة الإنفاق الحكومي على برامج الإعانات الاجتماعية وهذا سيترتب عليه بالطبع زيادة دخل الفرد العراقي والحد من ارتفاع معدلات البطالة خصوصا بين الشباب الذين يشكلون اعرض قاعدة اجتماعية في العراق، ولو تحقق هذا فعلا سيسهم في تسريع معدلات النمو الاقتصادي واستشعار الرفاهية على الأقل في المدى القصير فيحول دون توجه الناس إلى الجماعات المسلحة أو السطو والسرقة والاختطاف، وهذه الأشكال تمثل النسبة العظمى من أعمال العنف في العراق.. لكن هذا الباب ضيق جدا لأن عملية التنمية وتحسين المستوى الاقتصادي لكل فرد عراقي تحتاج إلى موارد مالية هائلة وخطط تنموية وطنية طموحة تطبق في أجواء آمنة بعيدا عن الفساد الإداري، ولم يتحقق هذا منذ عدة سنوات وبعد تناوب عدد من الحكومات على السلطة. لذا فإن اغلب العراقيين لا يعولون الكثير على هذا الاتجاه بسبب الفساد الإداري المستشري في دوائر الدولة وعدم توفر الأمن والاستقرار كشرط أساسي ترتكز عليه أية عملية تنموية. لكن وبالرغم من ذلك فنحن بحاجة إلى أية جهود في هذا المجال مهما كانت متواضعة.

إن الوضع المعقد في العراق يحتاج اليوم إلى جهود سياسية جبارة أكثر من أي شيء أخر. نحتاج إلى سياسيين في مراكز الحكم ينكرون كل شيء أوصلهم إلى سدة الحكم ويثبتون للناس أن الوطن للجميع حريصين ليل نهار على إظهار عراقيتهم بإبراز الجانب الوطني من شخصيتهم السياسية. عباقرة يضعون الطائفية والحزبية الضيقة على الرف ولن يلومهم مناصروهم ولا أي عراقي على ذلك لأن الشعور الوطني والإخلاص للشعب لا يمكن أن يعارضه أي إنسان ينتمي في جذوره وتطلعاته إلى هذه المساحة المحصورة داخل حدود خريطة العراق، وإذا ظهر شاذون عن هذه القاعدة فهم بذلك يكشفون أنفسهم أمام هجوم الشعب عليهم.

نحن العراقيون شعب متعدد ومتباين وربما على الحكام تجاوز انتمائهم الطائفي كشرط أساس لكسب احترام الجميع والحصول على الدعم المطلق، وفي سبيل ذلك لن تضرهم حقنة علمانية بسيطة مضادة لكل ما يحدث اليوم في العراق، حقنة تساعدهم على كبت مشاعرهم الدينية والاحتفاظ بها لأنفسهم كجزء من حريتهم الشخصية والدينية. فالعراق وإن كان الطابع الإسلامي يغلب عليه يظل بلدا فريدا في نسيجه الاجتماعي المتشابك، ولعل تاريخه الطويل أسهم في خلق تنوعات مذهبية وطائفية بين أقل الأديان تعدادا وليس في الإسلام فقط . لذا فالأفضل للسفينة أن تكون عائمة على وجه الماء والقبطان هو من يهمه أمر بقائها على ذلك الوضع مستقرة في طريقها نحو هدف معين مهما كان انتماؤه الطائفي. فالبلد ليس بحاجة إلى سماع تأكيدات على ذلك الانتماء بمناسبة أو بدون مناسبة.. بل الجميع ينتظر من السياسي العراقي إنجازات ملموسة أو حججا مقنعة تخدم قضية البلد وتقنع الشعب بضرورة السير على نهج جديد يقوم على أساس الحرية والديمقراطية حتى لو كان صاحب الصوت علمانيا يكفي إخلاصه للبلد وأبنائه كنقطة انطلاق إلى قلوبهم، والعلماني هنا ليس بكافر أو ملحد كما يفهم الكثيرون بل هو مجرد إنسان يعترف بالاختلاف ويحترم حقوق من يختلف معهم ويقر أن البلد يجب أن يكون ساحة مفتوحة للجميع ليعبر كل حي عن ما يشاء بفرص عادلة دون تمييز. وحتى لو كانت هذه الكلمات عسيرة الهضم على بعض المدافعين عن جمالية الخلط بين الدين والسياسة تبقى معبرة عن احد المخارج المطروحة أمام السلطة الحالية وخيارا أساسيا يبعد العراق عن شبح الحرب الأهلية، علما أن المرونة مطلوبة لمن يحكم هذا البلد الصعب، وإذا وجد السياسيون عملية اعتناق مبادئ علمانية أمرا مستحيلا لأنهم وصلوا إلى السلطة بعناوين طائفية ومن خلال أحزاب دينية فما عليهم سوى التأكد من حقيقة متأصلة بين الشعوب تنص على ضرورة معرفة موقف الناس من سماع كلمات عن مذاهب وطوائف وطرق دينية ربما لا يكونوا مقتنعين بها أصلا من أفواه حكامهم. والتزام المباديء العلمانية هنا ليس مصادرة لحرية أحد بقدر ما هو دواء ناجع يحافظ على وحدة أبناء البلد ويصون حريتهم ويحترم معتقدات الجميع دون استثناء. فلا ضير مثلا أن يكون الوزير أو رئيس الوزراء من طائفة معينة ويحاول التعبير عن مشاعره الطائفية في حدود حزبه ومؤتمراته الداخلية إذا كان ذلك الحزب يسير على الدرب المقصود، ولكن نفس الشخص يجب أن يلقي كل ذلك قبل أن يخرج من أبواب حزبه ليظهر أمام الجميع بوجه وطني خالص ويعمل في وزارة عراقية أو في أعلى سلطة عراقية بعيدا عن الرموز الدينية التي تشد مائة وتبعد خمسين، ويضيع بسبب النقاش حولها الملايين. والقاعدة الأهم التي تطرح نفسها أمام جميع السياسيين هي استبعاد كل نقاط الخلاف والاتفاق على عدم النقاش في أمور أصلا نحن كعراقيين غير متفقين عليها.. ولمصلحة الجميع يجب أن نلقيها خلف ظهورنا، والأمثلة الدينية خير دليل على ذلك، وإذا تألمت من حقنة علمانية لأنك على افتراض "متدين" حتى النخاع فلا تنس إن بلدنا اليوم مريض والحكيم هو من يبحث عن جميع أنواع الدواء ولا يدير ظهره لكل الاستشارات الطبية متشدقا بمسألة أن القوة هي من ستحل المشاكل.. وهذا غير صحيح لأن الكي هو فعلا آخر العلاج ولكنه في أحيان كثيرة يكون بداية لنهاية المريض، ونحن جميعنا لا نريد الموت للعراق.